والفنانين، خاصة في نهاية القرن التاسع عشر، وحللت التأثيرات الشرقية والأهمية الفنية الجمالية الكلية للمكان في بلادنا.

لقد كان علم الجمال يقوم في ذلك الحين بدور «القطاع الفلسفي القائد» في البحث الفني في مسائل العلاقة بين الفنان والمكان ودلالة الأثر، بالرغم من احتجاجات منظومة السيادة/ السلطة، الدينية أو الاجتماعية أو السياسية، في تلك العقود، وكانت الاحتجاجات ذات نشأة بدائية تدعي، تدني مستوى المعرفة للرحالة والميل الى رسم الانبهار بالمكان الشرقي المقدس دون الخوض في معنى القداسة وحقيقتها... وبالتالي، الميل الى خدمة الاهداف الدعائية، كتخصصة الحدث والمكان وبالتالي الفنان وهذا ما حدث مع روبرتس في مغامرته التي اثمرت كتاب "الأرض المقدسة" الذي نشر أكثر من مرة في الفترة من (1842 - 1849)..

اما حديثاً فإن خصوصية المكان في العالم العربي والشرق عموماً، قد تجاوزت حد الانبهار الى حد الصياغة الذاتية لعطيات التطورات والتحولات الهائلة في الفنون وادواتها مثل التصوير الفوتغرافي، النحت، الخزف، الطباعة الجرافيكية، التصوير الزيتي، الفنون الإنشائية والعمارة.. حيث نرى ان الفنان، يلجأ الى قراءة التاريخ الاستشراقي القديم لجماليات المكان.. ثم يتحول الى الرسم برؤية معاصرة لا تجديد حقيقي فيها، بقدر ما هي محاولات للتواصل مع حدث زيارة/ او الارتحال الى المكان.. فحدث ان شاهدنا، خلال العقود الماضية، اكثر من حالة من ذلك انه في العام 1978 زارت الاردن الفنانة الصينية "ليان دان هونغ" وتجولت في جميع المدن والبوادي والصحاري الاردنية.. وجسدت ذلك في كتاب اصدرته وزارة السياحة الاردنية عام 1978 بعنوان "الاردن كما رأيتها" رسمت فيه بالألوان المائية عمان، المدرج الروماني، المتحف الشعبي للازياء والحياة الشعبية مثل عروس في الهودج، وجرش، السيل ومعبد ارتميس، الازرق، قلعة الازرق، للاحات، مثلما رسمت العديد من الوجوه للرجال والنساء، ورصدت البلاد - لا المكان بالدرجة الأولى - كأنها تلتقط الصورة.. وتقرأ بعين سائحة، لا رحالة.. مما جعل لوحاتها، انطباعاتها ذات حضور عادي جداً في التطور الجمالي، وذلك على عكس رؤية الفنان المصري جورج البهجوري الذي عاش الاثر من خلال عين بصيرة بكل تجليات المكان، او حيوية ما رسمت وجسدت الفنانة الاردنية سهى شومان عندما خصصت سنوات طويلة من إبداعها التشكيلي لرصد حالة التنسك والتصوف الجمالي والفكري داخل البتراء.. وايضاً حالة الفنان العربي السوري زياد دلول الذي التقط جماليات اللون والبيئة في البتراء..

أرنولد توينبي، في "تاريخ البشرية" يقول: "أي حكاية، مهما كان الأمر الذي تعالجه، لا بد من ان يرافقها اختيار، فالعقل البشري لا يتمتع بالقدرة على إدراك جماع الأمور في نظرة شاملة واحدة.. فالإختيار أمر لا مفر عنه" وبالتالي فإن التزام الفنان، بما ينجز.. لإدراك ما يرى، بات أمراً مختلفاً في كل حيثياته وظروفه.. فالتطور المادي والتقني لكل شواهد الحياة والمجتمعات، جعل الفن يأخذ سلطة الرؤى الفلسفية لماهية المكان.. واحياناً الإنسان، بمعنى كيان وتفاعلات ونفسية الانسان ولهذا بدت المدينة، الاثر، المكان في عالم الفن اليوم ليست لغايات جمالية، او لاختيار منطقي سياحي مثلاً، او جمالي قطعي، انها مدارة للجسر الخفي بين الروح والنفس وموقع الجمال بينهما..

هذا الأمر، يفسر خروج العمارة المعاصرة، عن تولانها

القديم او استقرارها الاستاتيكي - الكلاسيكي النظرة، مما انعكس على الفنون.. والآداب.. وجعل المكان، الوهم الذي يعلل خلل التواصل مع ذات الانسان وخراب المحيط البيئي للمكان الذي يسود عليه.

لقد تجاوز الفنان المعاصر الكثير من إشكاليات رسم المدينة، لأن ما يشهده مع نهاية الألفية الثانية، بات لا يعود الى هوس وانبهار ديفيد روبرتس بالمقدس، والأراضي المقدسة، بقدر ما هناك وعي لحالة إكتمال الرؤية لكل دلالات المحيط، فنرى الفنان العربي "فرغلي" قد نهل من قوى المكان الاسطورية، ليعيد تشكيل التواصل مع المكان.. وبالتالي مع الناس، مدركاً حاجتهم الى الإرتحال الفكري الى ما وراء الأثر الجمالي!!

.. واخيرا.. لم يكن الفن التشكيلي العربي، او الغربي، على تباين او اختلاف بما يمكن ان تفضي اليه نظرة الفنان الى مستقبل المكان، خاصة المعمارة، ومع ذلك فإن العودة الى النقوش والكتابات القديمة، منحت الفنان حرية أعلى للإنطلاق نحو تيمات تشكيلية وجمالية، برزت في كل معالم الفن المعاصر الذي طغى على عالم المدينة اليوم..

صورة (1) - بقايا قصر النبت في البتراء.

صورة (2) - كهوف البتراء في جنوب الاردن بين إشكالية الحاجة الوظيفية والجماليات.

صورة (3) - نقوش وكتابات شرقية قديمة سحرت الرحالة وشكلت الرؤى الجمالية عند الفنان المعاصر.. والأثر من جنوب الجزيرة العربية - مدينة العلا.

صورة (4) - مجموعة من لوحات الفنانة الأردنية سهى شومان المستوحاة من مكانية البتراء.

صورة (5) - لوحة عروس في الهودج للفنانة الصينية هونغ .

صورة (6) - لوحة الطريق للقدس ما بين سينا وجنوب الأردن للفنان فرغلي.

صورة (7) - لوحة النوبي في وادي موسى للفنان المصري فرغلي عبد الحفيظ.

صورة (8) - لوحة بيت المقدس للفنان ديفيد روبرتس.

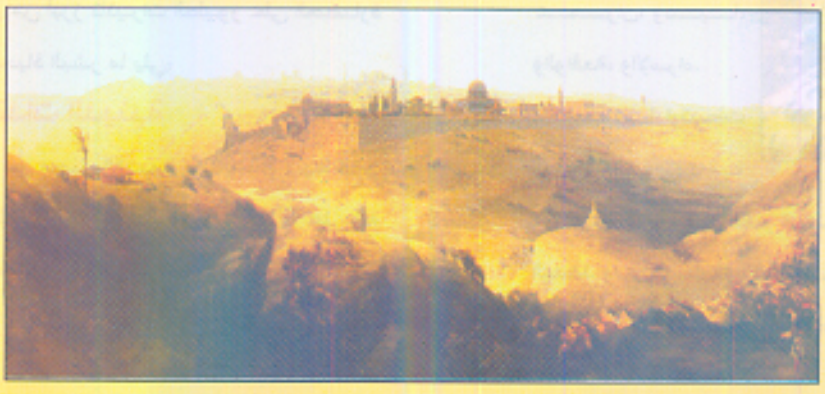

الطيور في الحضارة الإنسانية

درويش الشافعي
جامعة اليرموك

منذ حوالي 150 مليون سنة انحدرت الطيور من الزواحف، ولقد مضى أكثر من ٥٤ مليون سنة قبل أن تظهر الى الوجود طيور تشبه في صفاتها الخارجية الطيور الحديثة التي تعرفها اليوم.

ويقدر العلماء وجود حوالي 8600 نوع منها. وقد استطاعت الطيور ان تسود العالم بقوة جناحها وأن تتكيف في جميع الظروف المناخية والبيئية. ومنذ آلاف السنين تبلورت علاقة مميزة بين الإنسان القديم والطيور الموجودة في بيئته، ويمكننا الاستدلال على تلك العلاقة من خلال الرسوم والنقوش التي تركها انسان ما قبل الحضارة على جدران الكهوف الموجودة في جنوب اوروبه والصحراء الكبرى في شمال افريقيا والتي يرجع تاريخها الى أكثر من 10,000 سنة.

ـ البجعة ـ

لقد كانت الطيور حليفا طبيعيا ورفيقا للإنسان القديم فقد كانت طعامه ومرشده للماء والنار وحارسه الذي ينذره كلما اقترب منه خطر. وكانت الطيور ومازالت رمزا للمحبة والرحمة والسلام، والشاهد على صراع الكائنات الحية من أجل البقاء. وقد لعبت الطيور منذ القدم دورا مهما في تطور العلوم والفنون والاختراعات وكان لها حضورا مميزا في مختلف جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية ولعل من ابرز تأثيرات الطيور على الحضارة الإنسانية وارتباطها بحياة البشر ما يلي:

ـ الطيور والمعتقدات الدينية

ارتبطت الطيور في مصر القديمة بالديانة والآلهة فقد صور المصريون البلشون الرمادي *Grey Heron* على انه طائر العنقاء الأسطوري *Phoenix* الذي يخرج حيا من الرماد، ويرمز الى ولادة الشمس عند بزوغ الفجر. وكان

ـ ابومنجل ـ

لطائر (أبومنجل) القدس *Sacred Ibis* عند المصريين القدماء قدسية خاصة بحيث كان الموت مصير كل من يتعرض له وكانوا يحنطون هذا الطائر بالطريقة ذاتها التي يحنطون بها أمواتهم من البشر، وقد تم العثور في منطقة السقاره بمصر على مقبرة مومياوات لطائر (أبومنجل) المقدس يزيد عدد افراده عن المليون ونصف طائر. وارتبطت الطيور الجارحة بعلاقة قوية بملوك ووجهاء المصريين والهتهم وذلك لما ترمز اليه من قوة وعظمة، وكانت الصقور والنسور ممثلة بدرجات مختلفة في الممالك المصرية القديمة، ومازالت دول كثيرة تتخذ من هذه الجوارح شعارا وطنيا لها وتستعمل رسومها على اعلامها للتدليل على القوة والحرية.

وقد جاء ذكر أو إشارة للطيور في الديانات السماوية الثلاث ففي التوراة قادت ابن آدم الى المعرفة، وفي الإنجيل حملت له صوت السماء وفي القرآن الكريم كانت مثلا في الخلق وإعادته، وقد جاء ذكر للطيور في القرآن في ثلاثين آية من سورة البقرة، والنمل، والنحل، وآل عمران، وسبأ، والواقعة، والإسراء.

ـ البومة ـ

كما ارتبطت الطيور بقصص دينية وتراثية عديدة نذكر منها الهدهد وسيدنا سليمان عليه السلام، والغراب الذي علم قابيل كيف يواري سوءة أخيه والحمامة التي بنت عشها على

مدخل الكهف الذي اختبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، والحمامة وسيدنا نوح عليه السلام وغيرها. وعند الإطلاع على القصص والأمثال الشعبية نجد حضورا أو إشارة لطائر أو أجزاء منه.

ـ الطيور والجوانب الفنية والثقافية

استوحى الإنسان من عالم الطيور أفكاره وثقافاته وفنونه وكانت له المثل الأعلى والقدوة الحسنة، ففي الفن التشكيلي عبرت الطيور عن تطلع الإنسان الى الحرية، وفي الشعر كانت المثل الذي يحتذى به للوصول الى الكمال، وفي المسرح عبرت الطيور عن احاسيس الإنسان الحديث، وفي الموسيقى كانت واحته التي يستوحي منها الأنغام والإيقاع وفي الرقص تعلم الإنسان من الطيور التحليق والرشاقة والتوافق في الحركة، وفي القصة تعلم الإنسان من الطيور الحكمة والنطق. أما في الأمثال الشعبية فكانت الطيور عنصرها الأساس ورمزها المعبر عن واقع الحياة ومنطقها.

ـ الشرق ـ

ـ الطيور والمواصلات

قدمت الطيور وعلى وجه التحديد الحمام خدمات عظيمة لبني البشر سجلها التاريخ ومجدتها الأمم فبالإضافة الى أن الطيور كانت وما زالت تشكل مصدرا مهما للبروتين الحيواني وعلمت الإنسان معاني المحبة والوفاء والرقة، وألهمت الشاعر والعالم والفنان، كانت أيضا تحمل الرسائل من مكان الى آخر في أوقات الكوارث والشدائد، فعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كانت اوروبة تكتوي في أتون النيران وتحاصر باستحكامات تعجز الجيوش عن اجتيازها فانقطعت الأخبار وسبل الإتصال، لكن الحلفاء استعملوا انذاك ما يزيد عن 200,000 الف حمامة لنقل الأخبار والرسائل عبر ميادين المعارك وقد نجح في ايصال ما تحمله من أخبار ومعلومات، فكسرت الحصار وأعادت الإتصال، ومازالت بعض مؤسسات البريد والمواصلات في بريطانيا تستخدم الحمام الزاجل لنقل البرقيات لمسافات قصيرة.

ـ القطا ـ

ـ الطيور والتوازن الطبيعي

تتغذى الطيور الجارحة النهارية النشاط مثل (النسور والصقور) والطيور الليلية النشاط مثل البوم على القوارض التي تعد من الد أعداء المحاصيل الزراعية والإنسان ومن المعروف أن القوارض تتميز بسرعة تكاثرها وبذكائها وقدرتها الفائقة على التكيف والتعلم، ولو تركت القوارض دون مكافحة لأتلفت الزرع والضرع لكن الطيور الجارحة تعمل على تقليص اعداد القوارض بكفاءة عالية وللتدليل على ذلك نذكر أن زوجا واحدا من طيور البومة البيضاء *Barn owl* عمل على إبادة 4796 فارا من فئران الحقل *Voles* والجرذان *Rats* التي تعيش في حقل واحد في انجلترا وذلك خلال فترة حضانة الفراخ التي لاتزيد عن شهرين. وعند فحص ٨٥٠٠ كتلة غذائية من الكتل التي تتقيؤها طيور البوم تبين أنها تتكون من 40-70% واحيانا 92% من فار الحقل الإجتماعي وحوالي 8% من الحشرات الضارة بالمزروعات.

ـ النعامة ـ

أما النسور والصقور فتتغذى على الأرانب والقوارض التي تنشط نهارا كما تقلل أعداد الطيور الأخرى التي تتكاثر بأعداد كبيرة فتنظم بذلك اعدادهما مما يكفل لها استمرار بقائها. وتتغذى العقبان على الجيف فتعمل بذلك على تنظيف البيئة الطبيعية وتمنع انتشار الأوبئة والأمراض. ولا تقتصر مكافحة الآفات الزراعية على الطيور الجارحة فحسب بل أن معظم الطيور تقتات على الحشرات والقوارض، ويعد اللقلق الأبيض وطيور البلشون والأوز من اشد الطيور فتكا بالآفات الزراعية.

ـ الطيور وتطور التكنولوجيا

أسهمت الكائنات الحية في تطور التكنولوجيا والاكتشافات العلمية وكان للطيور دورا بارزا في خدمة العلم والاختراع، فمنذ زمن بعيد تعلم الإنسان من الطيور واستوحى منها العديد من الأفكار العلمية والإنسانية نذكر منها ما يلي:

1. وجدت ادوات حجرية حادة كان يستعملها الإنسان الأول، لها أشكال تشبه منقار الطيور الجارحة واخرى تشبه منقار نقار الخشب *Woodpecker*.

2. مازالت عدة قبائل تبني وتنسج أكواخها بطريقة تشبه التركيب الداخلي لعظام جناح الطائر الذي يتمتع بالقوة والمتانة والخفة في آن واحد كما استوحى الإنسان فكرة الجسور الحديدية المعلقة من جناح الطائر ايضا.

3. كان الإنسان في الماضي يتعرف على الأحوال الجوية القادمة من خلال سلوك الطيور وبالأخص طيور النورس والبلشون. كما كان ومازال يتنبأ بالزلازل الأرضية من خلال سلوك الطيور وحركتها، ففي عام 1902 حدث زلزال عنيف في جزيرة مارتينيك أدى الى زوال بلدة سانت بيير وقد لوحظ أن الطيور كانت قد غادرت الجزيرة قبل حدوث الزلزال الذي نتج عن ثوران بركان.

4. طور مهندسو الطيران أجهزة هبوط واقلاع الطائرات واجهزة التوجيه والرؤية الليلية على غرار ما هو موجود لدى الطيور.

5. طور العلماء اجهزة كشف الصدى مثل الرادارات على غرار أجهزة الصدى الموجودة عند الضوع الأمريكي (السبد) *Amer-ican Nightjar* وعند الخطاف الأوروبي *Marlet* وبالإضافة الى ما ذكر استفاد الإنسان من الطيور في مجالات كثيرة أخرى مثل رياضة الصيد، وهواية مراقبة الطيور وتصويرها ورسمها وفي تنشيط السياحة وتوفير مستلزمات بعض الصناعات النسيجية والوسائد وغيرها، وجدير بالذكر أن الدخل القومي للبيرو يعتمد اساسا على براز عاق البحر *Cormorant* الذي يعد من أفضل مخصبات التربة الزراعية.

ـ صائد السمك ـ

6. ابتكر الإنسان جهازا لتحلية ماء البحر يعمل على غرار الغدد اللحية الموجودة على قاعدة منقار الطيور البحرية.

ـ الأخطار المحدقة بالطيور

تواجه الطيور اليوم أخطاراً عديدة معظمها من صنع الإنسان فبالإضافة الى الصيد التجاري الواسع النطاق تتسم الطيور بالمبيدات الحشرية المستعملة لمكافحة الآفات الزراعية وتفقد الطيور بيئاتها وغذائها بسبب التوسع العمراني وازالة الغابات وتجفيف المياه السطحية وغيرها من العوامل.

ـ الهدهد ـ

وإذا لم تتخذ إجراءات عملية لحماية الطيور وبيئاتها الطبيعية. فإن جزءا مهما من التراث البشري ومعظم المخزون الأساسي للأفكار العلمية سيضيع والى الأبد. وفي سياق الحديث عن الطيور تجدر الإشارة الى أن الأردن بتنوع بيئاته وتضاريسه الطبيعية وموقعه الجغرافي المميز يعد محطة رئيسية للطيور المهاجرة وموطنا ملائما للطيور الآبده وتعيش في ربوعه انواع نادرة وفريدة تستحق الرعاية والإهتمام والدراسة.

وفي الختام لا بد من التذكير بقول الله تعالى، ﴿**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون..**﴾ الأنعام (38)

المراجع

1. دياهة الحيوان ـ اعداد وتقديم وشرح وتعليق عبداللطيف شراره ـ (1890) ـ دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.
2. الحيوانات والحضارة ـ عياد موسى العوامي 1977 ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس.
3. الحيوانات ترصد الزلازل وتتنبأ بالأحوال الجوية ـ درويش مصطفى الشافعي ـ مجلة القافلة ـ العدد الحادي عشر ـ المجلد الثالث والأربعون ـ ابريل 1995.
4. نافذة على عالم الصقور ـ درويش مصطفى الشافعي ـ العدد الرابع ـ المجلد الأربعون ـ اكتوبر ـ نوفمبر 1991.
5. لنا في هجرة الطيور عبرة ـ درويش مصطفى الشافعي ـ مجلة القافلة ـ العدد السادس ـ المجلد الأربعون ـ ديسمبر 1991 ـ يناير 1992.
6. التكنولوجيا انعكاس للبيولوجيا ـ درويش مصطفى الشافعي ـ مجلة اليرموك ـ العدد السادس والأربعون ـ اذار 1995.
7. العلم والطبيعة ـ درويش مصطفى الشافعي ـ مجلة اليرموك ـ

إصدارات...

عنوان الكتاب: العلاقات العامة والاتصال الإنساني

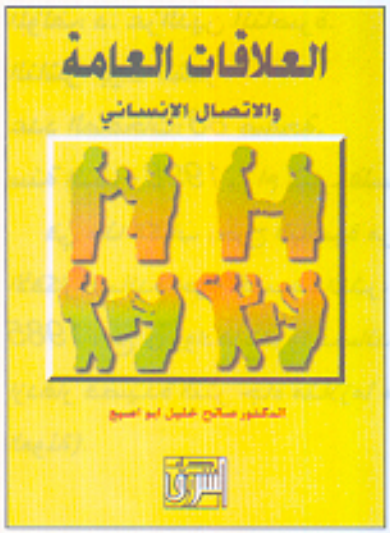

المؤلف: د. صالح ابواصبع.

الناشر: دار الشروق.

عدد الصفحات: 228 صفحة.

سنة النشر: 1998، عمان ـ الأردن.

العلاقات العامة هي فن الاتصال الانساني الذي يسعى الى صناعة علاقات متميزة بين المؤسسة او اية منظمة وجمهورها، بحيث تقوم هذه العلاقة على الثقة والاحترام والتقدير والمصالح المتبادلة. وهذا الكتاب محاولة لتقديم العلاقات العامة باعتبارها علما من علوم الاتصال التي يحتاجها الاداريون في حياتهم العملية.

عنوان الكتاب: جهة خامسة (دراسات في أدب نجيب محفوظ)

المؤلف: د. غسان عبدالخالق.

الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عدد الصفحات: 116 صفحة.

سنة النشر: 1999، بيروت ـ لبنان.

الرواية العربية كما يؤمن نجيب محفوظ على لسان الرواي في مستهل أولاد حارتنا، فن يصور ذلك الانتقال من مرحلة الوعي الشفاهي البدوي إلى مرحلة الوعي الكتابي المديني. وحيث أن هذا الانتقال قد توقف في الواقع عند مرحلة الوعي الشعبي الهجين، فقد جعل محفوظ من (الحي/ الحارة) معادلا موضوعيا لهذا الوعي.

عنوان الكتاب: القانون البحري

المؤلف: د. عادل المقدادي.

الناشر: مكتبة دار الثقافة.

عدد الصفحات: 325 صفحة.

سنة النشر: 1998، عمان ـ الأردن.

يتضمن الكتاب دراسة القانون البحري وتطوره ونطاق تطبيقه ومصادره. كما يتضمن دراسة السفينة، تعريفها وطبيعتها القانونية، وكذلك دراسة اشخاص الملاحة البحرية: المجهّز والربّان والبحارة وامين السفينة وامين الحمولة.

عنوان الكتاب: قصيدة النثر (المرجعية والشعارات)

المؤلف: د. عزالدين المناصرة.

الناشر: بيت الشعر.

عدد الصفحات: 88 صفحة.

سنة النشر: 1998، رام الله ـ فلسطين.

في هذا الكتاب يخرج المناصرة من السّجال الصحافي باتجاه المناقشة العلمية الدقيقة لمعظم الأفكار السائدة حول قصيدة النثر، ويلاحظ ان اعادة الاعتبار لقصيدة النثر جاء منذ عام 1985، مع ان روادها نشروا قصائدهم النثرية في الخمسينات والستينات. وهو يستنتج أن ازدهار قصيدة النثر جاء متلازما مع أفكار وثقافة النظام العالمي الجديد في اطار (قصيدة العولمة).

عنوان الكتاب: محمود درويش المختلف الحقيقي

المؤلف: سميح القاسم وآخرون.

الناشر: دار الشروق.

عدد الصفحات: 360 صفحة.

سنة النشر: 1999، عمان ـ الأردن.

دراسات وشهادات مختلفة قدّمها عدد من النقاد والمبدعين العرب، منهم الزميل د. محمد عبيدالله وأمجد ناصر الشاعر الأردني الذي قال في شهادته: إنني محتاج كإنسان قارئ قبل أن أكون شاعراً إلى شعر محمود درويش، لأنني لا أستطيع أن أتصور الشعر من دونه.

عنوان الكتاب: علم الأحياء المجهرية الطبي

المؤلف: د. أسفار الشبيب.

الناشر: مكتبة دار الثقافة.

عدد الصفحات: 308 صفحات.

سنة النشر: 1997، عمان ـ الأردن.

موضوع الأحياء المجهرية لايزال موضوع بحث ودراسة. وقد وجدت الباحثة ان هناك بعض المسائل في هذا العلم تحتاج الى تفصيل وامثلة وتطبيقات، منها: تصنيف البكتيريا المرضية والتعرف على طبيعة انواع مختلفة من الأحياء الدقيقة.

الملف الأدبي

* البيّاتي: أنا رائد الشعر العربي الحديث (حوار)
* شيء من اعتذار المغني (شعر)
* قصائد سبع (شعر)
* مكابدات (شعر)
* فجر بارد (قصة)
* قصص قصيرة جدا
* غريبان في المنزل (مسرح)
* الشعراء الشباب في الأردن (نقد)
* عرار بين الطموح القومي والرؤية الفنية (نقد)
* زهير أبوشايب: جسد مسروق بكامله (نقد)
* التأويل وقراءة النص الأدبي (نقد)
* أضواء على أدب وليم فوكنر (أدب عالمي)
* الشعر الأسود الأمريكي (أدب عالمي)
* غوّاص (لغة)
* أسباب تطرق الكذب للخبر (نصوص تراثية)

حوار...

عبد الوهاب البيّاتي:

أنا رائد الشعر العربي الحديث... ومعظم النقّاد أكّدوا ريادتي

حاوره: د. محمد عبيدالله
جامعة فيلادلفيا

رحل عبد الوهاب البياتي، الشاعر الرائد، والأب الحنون لأجيال من الشعراء، رحل تاركاً أباريقه المهشمة وبستان عائشة ومراثيها، تاركاً البحر يتنهّد، والذي يأتي ولا يأتي.. وكل ثروته الشعرية التي ستضمن له خلوداً أبدياً لا يمحوه الموت ولا يخنقه الغياب.

مت من الحياة لكنني
ما زلت طفلاً جائعاً يبكي

هكذا كان البياتي دائماً وأبداً.. حتى في شيخوخته ظل طفلاً يطلب الحياة.. لكنه لم يستنفدها ولم يحط بها، فظل يبكي كل الوجوه والأحلام والحيوات التي حاول أن يعانقها، أما هي فكانت تنأى وتفرّ، ويظل له الشعر الذي حاول من خلاله أن يقبض على عالم الخفاء والغياب.. وهو شعر إنساني خالد فيه روح كونيّة معرفية، وفيه فيض هائل من الحس الإنساني الذي يتجاوز الانفعال إلى السؤال الفلسفي المركّب.

وهذا الحوار الذي أجريته معه قبيل رحيله من عمّان - محطته الأخيرة قبل دمشق - ظل مطوياً في أوراقي، دونما سبب، وها هو يرى النور في رحيل البياتي.. الشاعر الرائد الذي تكثف تجربته الشعرية قصة الحداثة العربية منذ بداياتها الصعبة، وحتى تحقيق الاعتراف بها وامتدادها في العقود الأخيرة..

عبد الوهاب البياتي، شاهدٌ على نصف قرن من الشعر الحديث، لا تستطيع أن تتحدث عن الشعر العربي إلا وتذكر البياتي، بأباريقه المهشمة، والذي يأتي ولا يأتي، وبستان عائشة وسائر أعماله ودواوينه التي تركت أثراً واسعاً في تجربة الشعر الحديث، واستظلّت بها الأجيال اللاحقة من الشعراء في مختلف الأقطار العربية.

وأمام تجربة مثل تجربة (البياتي) تكون الأسئلة كثيرة، والإجابات بلا حدود.. ترحب بالشاعر العربي الكبير، بالبياتي الرائد والهاجر الأبدي، وتحاور تجربة الشعر الحديث ممثلة في تجربة (البياتي).

• أنت تصاحب نار الشعر منذ أكثر من نصف قرن، تُرى متى انطلقت الشرارة الأولى، هل تتذكر تلك الشرارة وانفعالاتها الأولى؟

من الصعوبة أن نحدد متى انطلقت الشرارة الأولى، ذلك لأن بداية الشاعر تكون مسكونة بالإرهاصات المتعددة والإخفاقات المتواصلة، وفي ذات مرة يحسّ الشاعر أنه قد عرف أول الطريق، أذكر أنني في سن مبكرة كتبت أول قصيدة، فرحتُ بها، وكانت قصيدة عمودية تنتهي بقافية الراء، لكني بعد فترة شعرت بخيبة أمل لأن الفضاء الذي كان بين القصيدة وبين ما كنت أحس به واسع، أي أني كتبتُ قصيدة من كلمات، على الورق، ثم لم تلبث أن انقطعت صلتها الروحية بي، وشعرت أنها غريبة عني، بل أحسست أني لم أكتبها، إذ كانت تمثل تراكماً كمياً، انثال من الذاكرة، وكانت العلاقة بينها وبين شعوري تكاد تكون شبه منعدمة، ولكن هذا بعث اليأس في نفسي، بل جعلني أحس بالمرارة، وبالحمى، وبقلق الانتظار، انتظار القصيدة التي سأكتبها ذات يوم.

وهكذا صاحبني هذا الإحساس حتى هذا اليوم، أي أنني كلما انتهيتُ من قصيدة، أحس أنني لم أكتب ما كنتُ

احلم به، بالرغم من آراء القراء والنقاد الذين احتفوا بي، ولا يزالون يحتفون بما اكتبه، وهذا يفسّر سرّ قصائدي التي تتقدم إلى الأمام باستمرار، اي انّ كل ما اكتبه من جديد يكون افضل من كتاباتي السابقة.

ولولا هذا الشعور لتوقفت منذ سنوات طويلة، فالنار التي اتقدت ذات يوم في داخلي واشعلتني لا تزال هي نفس النار، وإن كان لهيبها قد تصاعد بفعل التجربة والسنوات ومرارة الانتظار، ومرارة الكتابة وعذابها.

• إذن أنت تعتبر آخر قصيدة كتبتها هي القصيدة الأكثر تقدماً. لنتحدث عن هذه القصيدة.

آخر قصيدة كتبتها بعنوان (شهوة الحياة) وهي قصيدة عمودية نشرت بتقطيع بعض ابياتها حتى يستطيع القارئ متابعة النص دون ان يتوه، وقد احدثت تأثيراً كبيراً في كل من قرأها، لا على انها قصيدة تعودُ لي فحسب، بل إنهم اعتبروها من خيرة ما كُتب من شعر طوال سنوات، وهذا ما جعلني اشعر بالسعادة، لأنني عندما كتبت هذه القصيدة كنتُ واقعاً تحتَ وطأة رماد السنوات، والشعور، والشعر بنفس للشاعر التي اكتب بها شعري، ولكني اعتقد ان اللغة في هذه القصيدة قد نضجت بحيث ان قارئ هذه القصيدة لا يستطيع ان ينسبها إلى زمن معين، وهذا ما اظن انه يسمى بالحداثة، اي ان الحداثة الحقيقية هي انك عندما تقرأ قصيدة تحس انها باقية، وإذا لم تكن مؤرخة او منسوبة لشاعر ما، فقد تعتقد ان شاعراً كتبها قبل خمسة قرون.

ويمكن ان ينطبق نفس القول على ديواني الأخير (كتاب الرائي) الذي كادت نسخه تنفد في أشهر قليلة من صدوره، بالرغم من انّ بعض القراء قد قرأ هذه القصائد، وهي تنشر في المجلات العربية، كما انني لمستُ من خلال متابعة النقاد لهذه القصائد حيث ان بعضهم قد كتب عن بعض هذه القصائد دراسات مطوّلة، ولربما يمنعني الحياء من القول إن الشاعر الحقيقي ينضج ويتقدم كلّما مضت به السنوات وليس العكس هو الصحيح، والشاعر يظل متقدماً ما دام محتفظاً بالعلاقة الجدلية بنار الحياة الأزلية لأن الفن الحقيقي يتغذى عليها.

• هذا ينقلنا للحديث عن صلة الشعر بالواقع والحياة، كيف يرى البياتي هذه الصلة وكيف يُقيمها؟

الشعر لا يتصل بالحياة بشكل مباشر، بل إنه يستقطر ويعتق مغامرة الشاعر الوجودية، ويحوّلها إلى قصائد، وبدون ذلك الاختمار والاحتراق البطيء، فإن الشعر الذي يعبر عن الواقع مباشرة دون مقدرة الشاعر على النفاذ إلى جوهر هذا الواقع يؤدي بالشعر إلى ان يصبح شعراً ظرفياً ينتهي موسمه، فلو قرأنا مثلاً معلقة امرئ القيس او معلقة زهير بن ابي سلمى، سنرى ان هاتين المعلقتين بالرغم من تناولهما بعض الأحداث العابرة استطاعتا ان تنفذا إلى الواقع الحيّ الذي لا تراه العين المجردة.

إن الشاعر وهو يكتب يمدّ خيطاً نور يوصل بين الزمن والأبد، ولا يمكن للقصيدة الحقيقية ان تولد بدون ذلك التواصل، وبالطبع فإن الذي ينطلق من الزمن لا بد ان يصل إلى الأبد، ولكن لا يستطيع ان ينطلق من الأبد وحسب، فحتى الشعر الفلسفي والتجريدي والصوفي يستمد ناره من الواقع، ولكنه يتحول كما تتحول بعض المعادن إلى ذهب.

• الحديث ما زال يتواصل ويتكرّر حول قضية ريادة الشعر الحرّ: السياب، نازك الملائكة، البياتي، أين ترى موقعك في تجربة الرّيادة، وما طبيعة العلاقة التي امتدّت بين البياتي والسياب ونازك الملائكة؟

صحيح أننا انطلقنا معاً من الناحية الزمنية، ولكن شعري الذي ظل يتطور منذ نهاية الأربعينات، وبداية الخمسينات حتى عام 1996 يختلف عن شعر نازك التي بدأت ثمّ انطفأت، والسياب أيضاً الذي انطفأ في منتصف الطريق، ويعود اغلب شعره إلى القرية واجوائها الرومانسية، وحتى عندما اقترب من المدينة لم يستطع النفاذ إلى جوهر تجربة البشر الذين يعيشون فيها وإذا كان السؤال يقتصر على الريادة وحسب، فأنا اقول إنها علامات تاريخية، وإشارات لا علاقة لها بالشاعر مباشرة، ومعظم النقّاد أكدوا ريادتي من حيث الفعالية الشعرية وليس السبق الزمني.